المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك

1-تعريف الصعلكة:

الصعلكة- لغة- هي الفقر الذي يجردالإنسان من ماله والصعلوك-لغة- هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه ليشق طريقه في الحياة، ويسلك سبيله كما يسلكه الناس الآخرون. أما الصعلوك في الاصطلاح الأدبي فهو الفقير المتمرد على فقره، الساعي إلى إثبات وجوده وتحقيق ذاته وانتزاع قوته ولقمه عيشه بالقوة[1].

2- العوامل التي أدت إلى ظهور الصعلكة في العصر الجاهلي:

أ- العامل الاقتصادي:

لم تكن الثروة في المجتمع الجاهلي منظمة تنظيما صحيحا، ولا قائمة على أسس سليمة، ولا موزعة بين الأفراد توزيعا عادلا، وإنما كانت القبائل القوية هي التي تمتلك البلاد الواسعة وقطعان الإبل والكبيرة، وكان أبنائها لذلك أغنياء مترفين بالقياس إلى غيرهم من أبناء القبائل الصغيرة الضعيفة الفقيرة، التي لم تكن لها أماكن واسعة تنتشر فيها، ولم تكن لها قطعان الإبل الكثيرة التي تعتمد عليها، بل كانت بائسة متعرضة للخطر من القبائل الأخرى ذات القوة والبأس.[2] وهذا ما أدى إلى ظهور طبقتين: طبقة مترفة غنية وطبقة محرومة فقيرة. وهذا ما دفع الفقراء إلى محاولة تغيير وضعهم فمنهم " طائفة قبلت ذلك الوضع الاجتماعي الذليل وطائفة رفضت ذلك الوضع وأبت أن تعيش تلك الحياة الساقطة التافهة المهينة، ووجدت في القوة، قوة النفس وقوة الجسد،وسيلة تشق بها طريقها في الحياة."[3]

---

[1] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 20.

[2] المرجع نفسه:ص20.

[3] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،ط3،دار المعارف القاهرة،مصر، دت،ص34.

ب- العامل الجغرافي:

لم تكن الجزيرة العربية في مجموعها تتألف من مناطق خصبة، وإنما كانت فيها البقاع الصحراوية والجبلية القاسية، كما كان بجانبها مناطق أخرى سهلية صالحة غنية بأسباب الحياة، ومما زاد في هذا التضاد الجغرافي بين بقاع الجزيرة العربية أنه كانت تنتاب هذه المناطق فترات طويلة من الجفاف، فكان ذلك يضاعف من بؤس الفقراء وحاجاتهم، فنشأ عن ذلك من اتخذ الصعلكة وسيلة إلى حياته[4].

ج- العامل الاجتماعي:

يمكن أن نميز بين ثلاثة طبقات اجتماعية في تكوين القبيلة؛ الصرحاء، والعبيد، والموالي،. وكان أسوء هؤلاء الهجناء حظا، وأوضاعهم منزلة اجتماعية أولاد الإماء السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، فقد كانوا سبة يعير بهم آبائهم، وأطلقوا عليهم اسم الأغربة تشبيها لهم بالغراب في لونه الأسود، وهذا ما ولد فيهم مقتا وكرها لمن يعيرونهم بلونهم، فثاروا ورفعوا راية العصيان في وجهه مجتمعهم[5].

د- العامل السياسي:

يتمثل في وحدة القبيلة القائمة على العصبية ووحدة الدم، فالفرد فللفرد حق على القبيلة، وعليه واجب لها، من شأنه أن يحترم رأيها الجماعي، فلا يخرج عليه ولا يتصرف تصرفا بدون رضاها، ولا يكون سببا في تمزيق وحدتها أو الإساءة إلى

---

[4] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم،ص21.

[5] مليكة حيمر: محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، ص36.

سمعتها بين القبائل، فإذا ارتكب جرما ترفض القبيلة أن تتحمل نتائجه، أو إذا أخطا في حق قبيلته نفسها فإنه يطرد منها، ويسمى هذا خلعا[6].

3- سمات الصعاليك:

- الشجاعة
- الصبر
- سرعة العدو وهيمن أشد ما يلفت النظر من "مظاهر القوة الجسدية التي اشتهرت بها هذه الطائفة من الصعاليك، حتى ليطلق عليهم أحيانا اسم العدائين، أو الرجليين، أو الرجيلاء، كأنما أصبحت سرعة العدو ظاهرة مميزة لهم، وصفه ملازمة يعرفون بها. والمثل يضرب بجماعة منهم في سرعة العدو فيقال أعدى من الشنفرىوأعدىمن السليك، و أمضى من سليك المقانب"[7].

4- أصناف الصعاليك: وتنقسم إلى:[8]

أ- الخلعاء: الذين أنكرتهم قبائلهم، وتبرأت منهم، وطردتهم من حماها وقطعت ما بينها وبينهم من صلة؛ فأصبحت لا تحتمل لهم جريرة، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليهم.

ب- الأغربة السود: الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم الحبشيات، فلم يعترف بهم أبائهم العرب، ولم ينسبوهم إليهم لأن دمائهم ليست عربية خالصة. ومن هؤلاء تأبط شرا وشنفرى، والسليك بن السلكة.

ج- الفقراء المتمردين: الذين تصعلكوا نتيجة للظروف الاقتصادية المختلة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي، وقد احترف هؤلاء الصعلكة احترافا، ويمثلهم عروة

---

[6] المرجع نفسه: ص35،36.
[7] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 42.
[8] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 22.

بن الورد ومن كان يلتف حوله من فقراء العرب، وكذلك تلك المجموعة الكبيرة من شعراء هذيل.

5- موضوعات شعر الصعاليك:

وتتمثل في: [9]

- شعر المراقب
- التوعد و التهديد
- وصف الأسلحة
- الحديث عن الرفاق
- أحاديث الفرار
- سرعة العدو
- الغزوات على الخيل

6- خصائص شعر الصعاليك

أ- النزعة الإنسانية: يتميز شعر الصعاليك بموضوعيته الإنسانية، فقد كان صورة قوية معبرة عن المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، والذي كانت تتفاوت طبقاته، تفاوتا بينا، فكان شعرهم سلاحا من أسلحة الصراع الطبقي الذي كان يدور في البيئة العربية الجاهلية، وتنفعل به نفوسهم التي تقطر مرارة وأسى على واقعها الأليم الذي تعيشه[10].

ب- **شعر المقطوعات:** فقد ذاعتالمقطوعات في شعرهم أكثر من ذيوع القصيدة، ولعل هذا يعود إلى طبيعة حياة الصعاليك، تلك الحياة القلقة السريعة المتوثبة التي لم تتح لهم التفرغ لتطويل القصائد و تجويدها.[11]

ج- **التخلص من المقدمات الطللية:** وهذا أمر طبيعي ما دام الشعراء الصعاليك كانوا يحرصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم، إذ أن المقدمات الطللية تخل -بطبيعة

---

[9] مليكة حيمر: محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)، ص37-40.
[10] المرجع نفسه: ص42.
[11] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 27.

الحال– بهذه الوحدة الموضوعية.[12]

د– **القصصية:** فشعر الصعاليك في مجموعه ينحو منحى الحكاية و القص إذ حكى فيه الشعراء ما كان يدور في حياتهم من مغامرات، وفرار، وتشرد، وتربص بأسلوب قصصي حافل بالإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث.[13]

ه– الوحدة الموضوعية

و–**الواقعية:** ومن مظاهر هذه الواقعية اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لشعرهم وصدق النقل عن الحياة ومطابقة الصورة للأصل، والصراحة في التصوير، والدقة في التعبير.[14]

– **التحلل من الشخصية القبلية:** ظاهرة طبيعية عند الصعاليك، تتفق و ظاهرة الصعلكة من فقد التوافق الاجتماعي بين الصعاليك وقبائلهم مما ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم، ومن الطبيعي ألا تظهر شخصية القبيلة عند شاعر فقد إحساسه بالعصبية القبلية. فيصبح ضمير الفرد أنا أداة التعبير فيه بدلا من الضمير الجمعي نحن، هم[15] .

نموذج من شعر الصعاليك:

يقول الشنفرى:[16]

ـ وأغدو على القوت الزهيد كما غدا	أزل تهـــاداه التنائف أطحل
ـ غدا طاوياً يعارض الريح هافياً	يخوت بأذناب الشعاب ويعسل
ـ فلما لواه القوت من حيث أمه	دعـــا فأجابته نظائر نحل
ـ فهرته أفواه كأن شدوقهـــا	شقوق عصيّ كالحات وبسل
ـ مهللة شيب الوجوه كأنهـــا	قداح بكفي ياسر تتقلقـــل
ـ أو الخشرم المبعوث حثحث دبره	محابيض أرساهن سام معسل
ـ فضج وضجت بالبراح كأنهـــا	وإياه نوح فوق عليـــاء ثكل

---

[12] مليكة حيمر: محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)، ص 44.
[13] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 27.
[14] المرجع نفسه: ص28.
[15] مليكة حيمر: محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)، ص 45.
[16] الشنفرى: لامية العرب،دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،1980، ص83.